

الإسلام ديننا
المسلم المفيد
دُروس قرآنيَّة
الثالث الثانوي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

التفسير

الدرس الأول

التفسير

ما هو التفسير؟

التفسـير هو الكشف والتبيـان والتوضيح. وقد ارتبط هذا المُسمّى بالقُـرآن الكريم، فإذا ذُكِرت هذه الكلمة مستقلة فإنَّه يتبادر للذهن تفسير القُرآن الكريم.

التفسير التجزيئي

لمحة تاريخية عن تفسير القُرآن الكريم

كان المسلمـون في عهـد نزول القُـرآن يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ما غمض عليهم مـن آيةٍ أو مقصدٍ من كلام الله تعـالى، وكان الإمام علي عليـه السلام يكتب آيات القُرآن النازلة، ويسأل عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدوِّن الملاحظات عنها.

و كان المسلمون يعيشون في جوِ القُرآن الخالص، ووسط تطبيقه السليم، على مرأى ومسمعٍ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلاميـذ القُـرآن، من أمثـال الإمام علي عليه السلام. وكانـوا يتَّبعون القُـرآن ويصحِّحُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهمهم له إن أخطأوا.

كان ذلك ما دام النبيُّ وآله صلى الله عليهم أجمعين بينهم وأبناء القُرآن المخلصين.

ولكن بعد أن بعُدوا عنهم، وبعُدوا عن لغتهم الأصيلة ففسدت ألسنُ الناس ولهجاتهم، أصبحوا يسألون عن معاني آياتِ القُرآن.

فبمرورالزمن، دخل معهم الإسلام بعضُ اليهود والنصارى والوثنيين من عربٍ وغيرِ عرب. فاختلطت اللغةُ العربية بغيرها، ودخل الكثير من عقائد غير المسلمين ممّن دخلوا الإسلام، فكانت هناك حاجة لمعرفة عقائد الإسلام الحقَة، ومعرفة مداليل الآيات وألفاظها.

وهنـاك مشكلـةٌ أخرى برزت ألا وهي البعـد عن عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ممّـا جعل التأكُّدَ من صحة الأحاديث ومحتواها عملية صعبة.

ومن هنا ابتدأت حركة التفسير عند العلماء لبيان معاني القُرآن واستيضاح مقاصده.

منهج التفسير وأساليب المُفَسِّرين

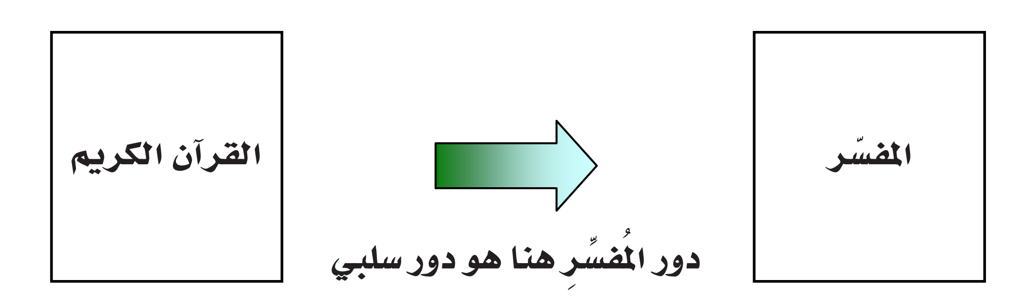
كان منهـجُ المُفَسِّر هو البـدءُ بالتفسيرِ آيةً آية من سورة الفاتحة وصولاً إلى سورة الناس. وهذا هو ما يُسمّى بالتفسير التجزيئي.

ولكُلِّ مُفسِّرٍ أسلوبه، فمفسِّرٌ يطغى عليه الأسلوب اللغويُّ والبلاغي، وآخرُ يغلب عليه الأسلوب الرِوائي – الاعتمـاد علـى الروايات في التفسير–، وآخـرُ يغلِبُ عليه الأسلوبُ الفلسفي، وآخر يهتمُّ بالجانب الفقهي.

وكُلُّ مـا لدينا من تفاسير في مكتبتنا هو من هذا المنهج التجزيئي. ومهما بحثَ المُفَسِّر في القُرآن فلن يكون قادراً على شمول بيان كُلِّ أوجهِ الآية.

دور المُفَسِّر هنا دورٌ سلبي

دور المُفَسِّـر هنـا دورٌ سلبـي. فهو هنا جالـس على مائدة القُـرآن يستمع إليه، ولا يرجـع إلى معارفه الخارجيَّة (أي معارفه العامة التي استفادها من غير القُرآن الكريم، كنتائج العلوم مثلاً أو النظريات المطروحة في كُلِّ مجال). هو لا يرجع لتلك المعارف؛ ليقارنها بمعارف القُرآن وبالنظرية القُرآنية.



هذا هو التفسير التجزيئي للقرآن الكريم.

توضيح أكثر:

لكن يجب أن نعرف أن الذي يفسر الآية تفسيرا تجزيئيًّا لا يقتصر على الآية التي يفسرها، ويفصلها عن بقية آيات القُرآن، بل يستعين بتفسير بقية الآيات المتعلقة في فهم وتفسير هذه الآية.

ولكنـه لا يحـاول من خلال تفسيره استخـراج نظرية قرآنية عامة في موضوع مـن المواضيع الحياتية مثلا.

أسئلة ومطالب

١. اسأل بعض الأساتذة هل يمكن أن نحصل على تفسير الإمام علي عليه السلام؟ تفسير الزهراء عليها السلام (مصحف فاطمة) أو تفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام ؟

٢. لماذا قلنا عن دور المُفَسِّر التجزيئي أنَّه دور سلبي؟

٣. هل تعرف أسماء بعض التفاسير غير المذكور أعلاه ؟ هل هي من النوع التجزيئي؟

٤. هل تستمع لمحاضرات الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله تعالى ؟ محاضراته مليئة بنقاش لآيات القُرآن الكريم و تفسيرها، وترجيح الآراء فيها. استمع إلى إحدى المحاضرات وسجِّل الآية، والآراء المختلفة، والرأي المرجَّح لديه، ثم اعرض ما سمعت على الزملاء غداً.

٢

الدرس الثاني

التفسير الموضوعي

الدرس الثاني

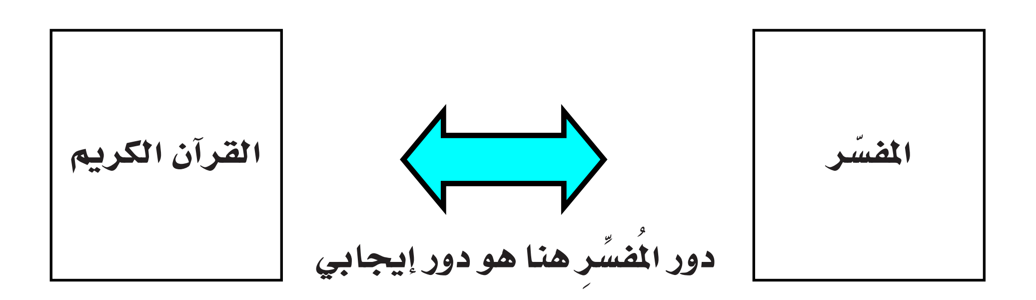
التفسير الموضوعي

كيف يكون دور المُفَسِّر دوراً إيجابياً؟

يقـول الإمام علـي عليه السلام: «ذلك القُرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه: ألا إنَّ فيه علمَ ما يأتي والحديثِ عن الماضي ودواءَ دائكم ونظمَ مابينكم».

لماذا لا يكون للمفسر دورٌ غير كونه مجرد مستمعا؟

في التفسير الموضوعي يبدأ المُفَسِّر بموضوعٍ من الحياة، من الواقع، ثم يعرض موضوعه على القُرآن. وهنا يُحكِّم القُرآن، ويخرج المُفَسِّر لنا بنظرية شاملة من القُرآن في هذا الموضوع.



فمثلاً يكون موضوع المُفَسِّر هو الاقتصاد الإسلامي، أو طرق الدعوة، أو النبوة، أو الإمامة، أو المعاد. هـذا المنهج من التفسير يُسمّى التفسير الموضوعي. وفيه يختـار المُفَسِّر موضوعًا، ويرجع إلى القُرآن فيتعرف على ما يطرحه من نظرية، ويخرج برأي الإسلام من ذلك.

ويتميَّـزُ رأيُ الإسـلامِ في كُلِّ الموضوعـات بأنَّـهُ رأيٌ شاملٌ محيـط، وهنا يُكوِّن المُفَسِّـر نظريةً شاملة إسلاميَّةً على عكس النظريات الأرضيَّة المحدودة.

وقد يبدأُ بعضُ المُفَسِّرين من القُرآن، فيختار منه موضوعًا ثم يسعى لمعرفة كُل ما قاله القُرآن الكريم حول الموضوع. مثال ذلك أن يختار مثلاً خلقَ السماواتِ والأرضِ أو الصلاةَ أو البعثَ يوم القيامة. ثم يبحث في القُرآن نفسِه عن نظريَّةٍ متكاملة في هذا الموضوع الذي اختاره منه.

وفي العــادة يتناول المُفَسِّر موضوعــاً مثل الموضوعات العقائدية كالتوحيد، ويُشبِعُ البحث، ثم يستشهد بالآيات المرتبطة بالموضوع.

وقــد لا يكــون هذا الأسلوب تفسيراً في الحقيقة إن كان ذكرُ الآيــات مُجرَّدَ شاهد، أو أنَّهُ يجمع الآيات المرتبطة بموضوع ما أولاً، قبل أن يُصدِرَ أيَّ رأيٍ فيه، ويضُمُّ هذه الآيات بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من ذلك نظريَّةَ القُرآن.

أسئلة ومطالب

١. ***ما المقصود بأن يكون التفسيرُ إيجابيَّاً؟***

٢. ***ما معنى استنطاق القُرآن ؟ يمكن الرجوع إلى المعنى اللفظيّ لكلمة نطق.***

٣. ***هل يمكن أن يساهم التفسيرُ الموضوعيُّ في وحدة المسلمين؟ ماذا لو بحث العلماءُ المسلمون عن موضوع رؤية الله، الإمامة، الخلافة، المعاد؟***

٤. ***ما الفرق بين قانون الأرض وقانون السماء؟ ألا يمكن الاستغناء بقوانين الإنسان عن قوانين السماء؟***

٥. ***اختر موضوعاً واجمع ما استطعت من آياتٍ تمُسُّ هذا الموضوع. سجِّل أرقام الآياتِ، واطرح ذلك على الزملاء.***

٣

الدرس الثالث

بحث في موضوعات مختلفة

الدرس الثالث

بحث في موضوعات مختلفة

تمارين

قم بالإجابة على الأسئلة التي يحدِّدُها لك أستاذك من الأسئلة التالية، ونفّذ التطبيقات المطلوبة.

ابحث في الانترنت بالكلمات التالية (يمكن البحث في كتب كبديل):

(استخدم موقع www.gﷺﷺgle.cﷺm بعد تحويله للغة العربية)

١. التفسير الموضوعي

٢. التفسير التجزيئي

٣. كتب تفسير موضوعي

٤. نماذج تفسير موضوعي

٥. تفسير موضوعي جعفر السبحاني

٦. تفسير موضوعي الشهيد محمد باقر الصدر

٧. تفسير موضوعي ناصر مكارم شيرازي

الأمور المطلوبة في البحث:

١. لخِّص أربع معلوماتٍ عن التفسير الموضوعي حَصَلتَ عليها من بحثك، وقدِّمها لزملائك للحوار.

٢. ما هي الأساسياتُ التي يحتاجُها المُفَسِّر؟ يمكنك الاستعانة بالبحث في الانترنت عن: آداب المُفَسِّر، علوم القُرآن والتفسير

٣. اقرأ في المصحف الشريف سورة القصص وعند كُلِّ آية، توقَّف واسأل نفسك عن الموضوعات التي يُمكِن أن تتطرق إليها.

٤. قم بجمع الآيات المتعلقة بموضوع أخلاق الأنبياء والصالحين في القُرآن الكريم، ومن ذلك اكتب في ورقةٍ مايجبُ أن يتحلَّى به المرء من خُلُقٍ اقتداءً بهؤلاء العباقرة العظام.

٥. هل يواكب الإسلامُ التقدُّمَ المدنيَّ والإنساني؟ كيف يمكن أن يكون دورُ التفسير الموضوعي في ذلك؟

٤

الدرس الرابع

تطبيقات التفسير التجزيئي ١

الدرس الرابع

تطبيقات التفسير التجزيئي ١

من تفسير الأمثل

راجع تفسير الأمثل " الأمثل في تفسير القُرآن العظيم" لسورة الكوثر، وحاول من خلال التفسير الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي معاني الكوثر المحتملة؟
٢. ما معنى أبتر؟
٣. هل إنَّ سبب نزول السورة يُرجِّح أحد المعاني المذكورة للكوثر؟
٤. هل يمنع ذلك أن تشمل السورةُ معانٍ أخرى للكوثر غير المعنى الذي رجَّحناه؟
٥. كيف نستفيد وجوب قصد القُربة في العبادة من آية (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)؟
٦. ما علاقة فاطمة الزهراء عليها السلام بالكوثر؟

«سورة الكوثَر» مَكيَّة / وَعَدَدُ آيَآتِهَا ثلاث آياتْ

محتوى السّورة

الآيات:

﴿إنَّآ أَعْطَيْنَـكَ الكَوْثَرَ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾

سبب النزول:

- المشهور أنّ هذه السّورة نزلت في مكّة، وقيل: في المدينة، وقيل: من المحتمل أنّها نزلت مرّتين في مكّة والمدينة، لكنَّ الرّوايات في سبب نزول السّورة تؤيِّد أنّها مكّية.

- ذُكِر في سبب نزول السّورة: أنَّ «العاص بن وائل» رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدَّثا، وأُناسٌ من صناديد قريش جلوس في المسجد. فلمّا دخل «العاص» قيل له: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر. وكان قد توفي عبدُ اللّهِ بنِ رسول الله صلى الله عليه وآله

وهومــن خديجة، وكانوا يُسمّون من ليس له ابن أبتر. فسمَّتهُ قريش عند موت ابنه أبتر. (فنزلت السّورة تبشِّر النّبيَّ بالنعم الوافرة والكوثر وتصف عدوّه بالأبتر)[١].

- ولمزيد من التوضيح نذكر: أنّ النّبي كان له ولدان من اُمِّ المؤمنين خديجة عليها السلام، أحدهما «القاسم» والآخـر «الطاهر» ويُسمّى أيضاً عبد اللّه. وتوفي كلاهما في مكّة. وأصبح النّبيُّ من دون ولد. هذه المسألة وفَّرت للأعداء فرصة الطعن بالنّبيِّ فسمّوه الأبتر[٢].

- والعرب حسب تقاليدها كانت تُعيرُ أهمّيَّةً بالغة للولد، وتعتبره امتداداً لمهامِّ الأب.
- بعد وفاة عبد اللّه، خالَ الأعداءُ أنّ الرسالةَ سوف تنتهي بوفاة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم.
- السّــورة نزلـت لترُدَّ على هؤلاء الأعداء بشـكل إعجازيٍّ ولتقول لهم: إنّ عـدوَّ الرسولِ هو الأبتر، وأنَّ الرسالــة سوف تستمر وتتواصل، وهذه البشرى بدَّدت من جهةٍ آمال الأعداء، وطيَّبت خاطرَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن اغتمَّ من لمزِ الأعداء وتآمرهم.

فضيلة السّورة:

ورد في فضيلــة هــذه السّورة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأها سقاه اللّهُ من أنهار الجنّةِ، واُعطيَ من الأجرِ بِعددِ كلِّ قربانٍ قرَّبهُ العبادُ في يوم عيد...»[٣].

اسم هذه السّورة (الكوثر) مأخوذة من أوّل آية فيها.

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٩

(٢) كان للرّسـول إبن آخر من «مارية القبطية» اسمــه إبراهيم. ولد في الثامنة للهجرة بالمدينة، ولكنّه توفي أيضاً قبل بلوغ الثّانية من عمره، وحزن عليه الرسول كثيراً.

(٣) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٨

٥

الدرس الخامس

سورة الكوثر ١

الدرس الخامس

سورة الكوثر ١

الآيات:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

التّفسير

أعطيناك الخير العميم،

الحديث في كُلّ هذه السّورة موجّه إلى النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (مثل سورة والضحى، وسورة ألم نشرح)، وأحد أهداف هذه السور تسلية قلب النّبي إزاء ركام الأحداث المؤلمة وطعون الأعداء.

تقول له أوّلاً:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ الْكَوْثَرَ﴾.

و«الكوثر»: من الكثرة، وبمعنى الخير الكثير، ويُسمّى الفردُ السخيُّ كوثراً.

وفي معنى «الكوثر»:

ورد أنّــه لمّــا نزلت سورة الكوثر صعــد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقرأها على النّاسـ. فلما نزل قالوا: يا رســول الله، ما هذا الذي أعطاك اللّه؟ قال: «نهرٌ في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح، حافتاه قباب الدر والياقوت...»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معنى الكوثر قال: «نهر في الجنّة أعطاه اللّهُ نبيَّهُ عوضاً من ابنه»[٥].

وقيل: هو حوض النّبي الذي يكثر النّاس عليه يوم القيامة.

وقيل: هو النّبوة والكتاب،

وقيل: هو القُرآن. وقيل: كثرة الأصحاب والأشياع.

---

(٤) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٩

(٥) المصدر السابق

وقيل: هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يُحصى عددُهُم، واتصل إلى يوم القيامة مددُهُم، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه الشفاعة[٦].

الفخـر الرازي نقـل خمسة عشر رأيـاً في تفسير الكوثر، ولكِنَّ هـذه التفاسير تُبـيّن غالباً المصاديق البارزة لمعناها الواسع وهو «الخير الكثير».

نعلم أنّ اللّه سبحانه أعطى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نِعَماً كثيرة، منها ما ذكره المُفَسِّرون في معنى الكوثر وغيرها كثير، وكُلُّها يمكن أن تكون تفسيراً مصداقيّاً للآية.

علـى أيِّ حـال، كُلُّ الهبات الإلهية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كُلِّ المجالات تدخل في إطار هذا الخير الكثير، ومـن ذلـك انتصاراته على الأعداء في الغزوات، بل حتَّى علماء اُمتـه؛ الذين يحملون مشعل الإسلام والقُرآن في كلّ زمان ومكان.

الإخبار بالكوثر إخبار إعجازي:

ولا ننسـى أنّ كلام اللّه سبحانـه تعالى لنبيّه في هذه السّـورة كان قبل ظهور الخير الكثير. فهو إخبارٌ بالمستقبل القريب والبعيد، إخبارٌ إعجازيٌّ يُشكِّلُ دليلاً آخر على صدق دعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الخير الكثير يستوجب الشكر:

هـذا الخـير الكثير يستوجب شكراً عظيماً، وإن كان المخلوق لا يستطيع أداء حقِّ نعمة الخالق أبداً. إذ أنّ توفيق الشكر نعمة اُخرى منه سبحانه. ولذا يقول سبحانه لنبيّه: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ**﴾.

---

(٦) المصدر السابق

٦

الدرس السادس

سورة الكوثر ٢

الدرس السادس

سورة الكوثر ٢

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾.

نعم، واهب النعم هو سبحانه. لذلك ليس ثمّة معنى للعبادات إن كانت لغيره. خاصّة وإن كلمة (ربّ) تعني استمرار النعمة والتدبير والربوبية.

بعبارة اُخرى، العبادات، سواء كانت صلاةً أم نحراً، تختصُّ بالربّ وولي النعمة، وهو اللّه سبحانه وتعالى.

والأمر بالصلاة والنحر للرَّبِّ مقابل ما كان يفعله المشركون من سجودهم للأصنام ونحرهم لها، بينما كانوا يرون نِعَمَهُم من الله. وتعبير (لربِّك) دليل واضح على وجوب قصد القربة في العبادات.

آراء للمفسرين:

كثيرٌ من المُفَسِّرين يعتقدون أنّ الآيةَ تقصد صلاة عيد الأضحى والنحر فيه. لكِنَّ مفهوم الآية عام وواسع. وصلاة عيد الأضحى والنحر فيه من مصاديق الآية البارزة.

عبارة «وانحر» من النحر، وهو ذبح الناقة. وقد يكون ذلك لأهميَّةِ الناقة بين أنواع الأضاحي. والمسلمون الأوائل كانوا يعتزُّون بالإبل، ونحرها يحتاج إلى إيثارٍ كثير.

وذُكِرَ للآية المباركة تفسيران آخران.

١. المقصود من كلمة (وانحر) أن استقبل القبلة في الصلاة. لأنَّ النحر أعلى الصدر، والعرب تستعمل الكلمة لاستقبال الشيء فيقولون: منازلنا تتناحر، أي تتقابل.

٢. المقصود رفع اليد عند النحر لدى التكبير، ولذا ورد في الرّواية أنَّهُ لمّا نزلت هذه السّورة قال النّبي ﷺ لجبريل: «ما هذه النحيرة[٧] التي أمرني بها ربّي؟» قال: «ليست بنحيرة، ولكِنَّه يأمُرُك إذا

(٧) «النحيرة» آخر الشهر، لأنّ الإنسان يستقبل فيه الشهر الجديد. وسؤال النّبي لجبريل عن هذا الإستقبال للشهر الجديد،

تحرَّمــتَ للصــلاة أن ترفَعَ يديك إذا كبَّرتَ وإذا ركعتَ، وإذا رفعــتَ رأسَكَ من الركوع، وإذا سجدت، فإنَّــه صلاتُنــا وصلاةُ الملائكةِ في السماواتِ السبع. فإنَّ لكُلِّ شيءٍ زينة، وإنَّ زينةَ الصلاةِ رفعُ الأيدي عند كُلِّ تكبيرة»[٨].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية أنّهُ أشار بيده وقال: «هكذا». أي استقبل بيديهِ القبلة في افتتاح الصلاة (رفع يديه جاعلاً كفَّهُ مقابل القبلة)[٩].

والتّفسير الأوّل أنسب، لأنَّ المقصود هو الردّ على أعمال المشركين الذين كانوا يعبدون وينحرون لغير الله، ولكــن لا مانع من الجمع بين هذه المعــاني، خاصّة وقد وردت بشأن رفع اليد عند التكبير روايات كثيرة في كُتُبِ الشيعة والسنة. وبذلك يكون للآية مفهوم جامع يشمل هذه المعاني أيضاً.

﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾.

وفي آخر آية يقول الله سبحانه لنبيّه ردّاً على ما وَصَمه به المشركون: **﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾.**

«الشانئ» هو المعادي من «الشنئان». على وزن ضربان. وهو العداء والحقد.

و«أبــتر» في الأصل هو الحيــوان المقطوع الذنب[١٠]. وصــدر هذا التعبير من أعــداء الإسلام لإنتهاك الحرمة والإهانة.

وكلمة (شانئ) فيها ايحاء بأنَّ عدوك لا يراعي أيةَ حرمة، ولا يلتزم بأيِّ أدب، أي أنّ عداوته مقرونة بالفظاظــة والدناءة. والقُرآن يقول لهؤلاء الأعــداء في الواقع: إنّكم أنتم تحملون صفة الأبتر لا رسول الله.

مــن جهة اُخرى، كما ذكرنا في سبب نــزول السّورة، قريش كانت تترقب انتهــاء الرسالة بوفاة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّهــم كانوا يقولون: إنَّ النّبي بلا عقــب. والقُرآن يقول للنّبي: «لست بلا عقب، بل شانئك بلا عقب».

لذلك قال له جبريل: ليست بنحيرة

(٨) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٠.

(٩) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٠.

(١٠) مجمع البيان، ج١، ص٥٤٨.

٧

الدرس السابع

بحوثٌ في سورة الكوثر

الدرس السابع

بحوثٌ في سورة الكوثر

بحوث

١. فاطمة عليها السلام و الكوثر

قلنا إنَّ «الكوثر» له معنى واسع يشمل كُلَّ خير وهبه اللّه لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ومصاديقُهُ كثيرة، لكنَّ كثيراً من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنَّ «فاطمة الزهراء عليها السلام» من أوضح مصاديق الكوثر، لأنَّ رواية سبب النزول تقول: إنَّ المشركين وصموا النّبي بالأبتر، أي بالشخص المعدوم العقب، وجاءت الآية لتقول: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَكَ الكَوْثَر﴾.

ومن هنا نستنتج أنَّ الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنَّ نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انتشر في العالم بواسطة هذه البنت الكريمة... وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتداداً جسميّاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل كانوا امتداداً رساليّاً صانوا الإسلام وضحَّوا من أجل المحافظة عليه، وكان منهم أئمّةُ الدين الإثنا عشر، أو الخلفاء الإثنا عشر بعد النّبي كما أخبر عنهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضاً الآلافُ المؤلفةُ من كبار العلماء والفقهاء والمُحدِّثين والمُفَسِّرين، وقادة الأُمّة.

الفخر الرازي (من كبار علماء أهل السنّة) وكلام في الكوثر:

والفخر الرازي في استعراضه لتفاسير معنى الكوثر يقول: القول الثّالث «الكوثر» أولاده. قالوا لأنَّ هذه السّورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه صلى الله عليه وآله وسلم بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرِّ الزمان، فانظر كم قُتِل من أهلِ البيت، ثمّ العالم ممتلىءٌ منهم، ولم يبق من بني أُميَّةَ في الدنيا أحدٌ يُعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر؛ من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم[١١].

(١١) تفسير الفخر الرازي، ج٣٢، ص١٢٤

٢. إعجاز السّورة

هذه السّورة تتضمّن في الواقع ثلاثة من أنباء الغيب، والحديث عن المستقبل.

فهي أوّلاً تتحدث عن إعطاء الخير الكثير للنّبي (أعطيناك الكوثر) وهذا الفعل وإن جاء بصيغة الماضي، قد يعني المستقبل الحتمي الوقوع. وهذا الخير الكثيرُ يشملُ كُلَّ الانتصارات والنجاحات التي أحرزتها الدعوة الإسلامية فيما بعد. وهي ما كانت متوقّعة عند نزول السّورة في مكّة.

من جهة اُخرى، السّورة تُخبِرُ النّبيَّ بأنّه سوف لا يبقى بدون عَقِب، بل إنّ ذريَّتَهُ ستنتشر في الآفاق.

ومن جهة ثالثة، تُخبِرُ السّورةُ بِأنَّ عدوّه هو الأبتر، وهذه النبوءة تحقّقت أيضاً، فلا أثر لعدوِّهِ اليوم، بنو اُميَّة وبنو العباس الذين عادوا النّبي وأبناءه كانوا ذا نسل لا يُحصى عددُه، ولم يبق اليوم منهم شيءٌ يُذكر.

٣. «إنّا» بصيغة الجمع، لماذا؟

يلاحظ في السّورة وفي مواضع اُخرى من القُرآن أنَّ اللّه سبحانه ذكر نفسه بصيغة الجمع (ضمير المتكلم مع الغير): (إنّا أعطيناك الكوثر).

هذا التعبير لبيان عظمته جلّت قدرتُه. فالعظماءُ حين يتحدَّثون عن أنفسهم، فلا يعنون بشخصِهِم فقط، بل يُخبِرون عمَّن تحت إمرتِهِم. وهي كناية عن القدرة والعظمة، وعن وجود من يأتمر بأمرهم.

الآية الكريمة مؤكَّدةٌ بحرف (إنّ) تأكيداً آخر، عند قوله تعالى: إنَّ شانِئك هو الأبتر. فتؤكِّدُ الكوثرَ للرسول، و الأبتر للشانئ.

وعبارة «أعطيناك» تعني هبة اللّه سبحانه لنبيّه هذا الكوثر، ولم يقل آتيناك. وهذه بشارة كبيرة للنّبي تُسلّي قلبه أمام تخرُّصاتِ الأعداء، وتثبِّتُ قدمه وتبْعِدُ الوهنَ عن عزيمته؛ وليعلمَ أنَّ سنده هو اللّه؛ مصدرُ كُلِّ خيرٍ، وواهبُ ما عنده من خير كثير.

ربّنا! لا تحرمنا ممّا أنعمت به على نبيِّك من خيرٍ كثير.

ربّنا! إنّك تعلمُ مدى حُبِّنا لرسولك، ولذريتِهِ الطاهرة، فاحشُرنا في زُمرتِهِم.

ربّنا! عظمةُ رسولِكَ وعظمةُ رسالتِهِ لا تبلغها عظمة، اللّهُمّ فزِدها عزّةً ومنعةً وشوكة.

٨

الدرس الثامن

تطبيقات التفسير التجزيئي ٢

الدرس الثامن

تطبيقات التفسير التجزيئي ٢

من تفسير الميزان

راجع أولاً تفسير السيد عبد الله شبر ثم تفسير الميزان - الميزان في تفسير القُرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي -، وحاول من خلال التفسير الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما المعنى الإجمالي للسورة الذي فهمته من خلال تفسير السيد عبد الله شبر؟
٢. هناك روايات تذكر المقصود بالكوثر. اذكر ما تراه مهمًّا منها.
٣. بالرجوع لنفس القُرآن الكريم، هل هناك ما يرجِّح أحد المعاني المذكورة للكوثر؟
٤. حاول أن تجد السرَّ في التعبير بـ "أعطيناك" في السورة.
٥. ما المراد بالنحر المذكور في آية: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾؟
٦. يُذكر أن هذه السورة شاهد على إعجاز قرآني. صفه لنا باختصار.

سورة الكوثر:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَكَ الكَوْثَرَ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

بيان

امتنان على النبي ﷺ بإعطائه الكوثر وتطييبٌ لنفسه الشريفة بأنَّ شانئه هو الأبتر، وهي أقصر سورة في القُرآن وقد اختلفت الروايات في كون السورة مكية أو مدنية، والظاهر أنَّها مكية، وذكر بعضهم أنَّها نزلت مرتين جمعًا بين الروايات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَكَ الكَوْثَرَ﴾:

قال في المجمع، الكوثر فوعل وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة، والكوثر الخير الكثير، انتهى.

الأقوال في الكوثر:

و قد اختلفت أقوالهم في تفسير الكوثر اختلافًا عجيبًا فقيل:

هـو الخـير الكثير، وقيل نهر في الجنة، وقيل: حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة أو في المحشر، وقيل: أولاده وقيـل: أصحابـه وأشياعـه صلى الله عليه وآله وسلم إلى يـوم القيامة، وقيل: علمـاء أمته صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل القُـرآن وفضائله كثـيرة، وقيل النبوة وقيل: تيسـير القُرآن وتخفيف الشرائع وقيل: الإسلام وقيل التوحيد، وقيل: العلم والحكمة، وقيل: فضائله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل المقام المحمود، وقيل: هو نور قلبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك مما قيل، وقد نقل عن بعضهم أنَّه أنهى الأقوال إلى ستة وعشرين.

وقد استند في القولين الأولين إلى بعض الروايات، وباقي الأقوال لا تخلو من إشكال، وكيفما كان فقوله في آخـر السـورة: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» وظاهر الأبتر هو المنقطع نسله وظاهر الجملة أنَّها من قبيل قصر القلب، وأنَّ كثرة ذريته صلى الله عليه وآله وسلم هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المراد بها الخير الكثير وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير، ولو لا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** خاليًا عن الفائدة.

و قـد استفاضـت الروايات أنَّ السورة إنَّمـا نزلت فيمن عابه صلى الله عليه وآله وسلم بالبتر بعد مـا مات ابناه القاسم وعبـد الله، وبذلـك يندفع ما قيل: إنَّ مُـراد الشانىء بقوله: «أبتر» المنقطع عـن قومه أو المنقطع عن الخـير، فردَّ اللهُ عليـه بأنَّه هو المنقطع من كُلِّ خـير. ولِما في قوله: «إنا أعطينـاك» من الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم جيءَ بلفظ المتكلِّم مع الغير الدال على العظمة، ولِما فيه من تطييب نفسه الشريفة أكَّدَت الجملة بإنَّا وعُبِّرَ بلفظِ الإعطاء الظاهر في التمليك.

و الجملـة لا تخلـو من دلالة على أن ولد فاطمـة عليها السلام ذريته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا في نفسه مـن ملاحم القُرآن الكريم فقد كثَّر الله تعالى نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أيُّ نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب و أفنى جموعهم من المقاتل الذريعة.

قوله تعالى: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾**:

ظاهـر السياق في تفريع الأمر بالصلاة والنحر علـى الامتنان في قوله: «إنا أعطيناك الكوثر» إنه من شكر النعمة و المعنى إذا مننا عليك بإعطاء الكوثر فاشكر لهذه النعمة بالصلاة والنحر.

والمـراد بالنحـر على ما رواه الفريقان عـن النبي ﷺ وعن علي عليه السلام وروتـه الشيعة عن الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر.

و قيـل: معنى الآية صل لربِّك صـلاة العيد وانحر البدن، وقيل: يعني صلِّ لربِّك واستو قائمًا عند رفع رأسك من الركوع وقيل غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾:

الشانىء هو المبغض والأبتر من لا عقب له وهذا الشانىء هو العاص بن وائل.

وقيل: المراد بالأبتر المنقطع عن الخير أو المنقطع عن قومه، وقد عرفت أن روايات سبب نزول السورة لا تلائمهُ وستجيء.

٩

الدرس التاسع

بحث روائي في سورة الكوثر

الدرس التاسع

بحث روائي في سورة الكوثر

في الـدر المنثور، أخرج البخاري وابـن جرير والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكوثر الخير الذي أعطاه إيَّاه. قـال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فإنَّ ناسًا يزعمون أنَّه نهر في الجنة قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيَّاه.

وفيـه، أخـرج ابـن أبي حاتم والحاكـم وابن مردويه والبيهقـي في سننه عن علي بن أبـي طالب قال: لمـا نزلـت هذه السورة على النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**إِنَّآ أَعْطَيْنَـكَ الكَوْثَر**﴾ قال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل: ما هذه النحـيرة التـي أمرني بها ربي؟ قال: إنَّها ليسـت بنحيرة ولكن يأمرك إذا تحرمـت للصلاة أن ترفع يديـك إذا كبرت وإذا ركعـت وإذا رفعت رأسك من الركوع؛ فإنَّها صلاتنـا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وأنَّ لكُلِّ شيءٍ زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كُلِّ تكبيرة.

قـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله: ﴿...**فَمَا اسْـتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَـرَّعُونَ** ﴾[١٢]:. أقـول: ورواه في المجمـع، عن المقاتل عـن الأصبغ بن نباتة عنه عليه السلام ثم قـال: أورده الثعلبي والواحـدي في تفسيرهما، وقال أيضًا: إنَّ جميع عترته الطاهرة رووا عنه عليه السلام: أنَّ معنى النحر رفع اليدين إلى النحر في الصلاة.

وفيـه، أخـرج ابن جرير عن أبي جعفر في قوله: ﴿**فَصَـلِّ لِرَبِّكَ** ﴾ قـال: الصلاة ﴿**وانْحَر**﴾قال يرفع يديه أوّل ما يكبر في الافتتاح.

وفيـه، أخـرج ابن مردويه عن ابـن عباس في قوله: ﴿**فَصَـلِّ لِرَبِّـكَ وانْحَر**﴾قـال: إنَّ اللهَ أوحى إلى رسوله أن ارفع يديكَ حذاءَ نحرك إذا كبَّرتَ للصلاة، فذاك النحر.

---

(١٢) المؤمنون:٧٦.

وفي المجمع، في الآية عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ هو رفع يديك حذاء وجهك:. أقول: ثم قال: وروى عنه عبد الله بن سنان مثله، وروي أيضًا قريبًا منه عن جميل عنه.

وفي الدر المنثور، أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية، فمات القاسم؛ وهو أوَّلُ ميت من ولده بمكة، ثم مات عبد الله، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسلُهُ فهو أبتر، فأنزل اللهُ ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾.

وفيه، أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفي القاسم بن رسول الله بمكة فمرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آتٍ من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي لأشنؤه فقال العاص بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾.

وفيه، أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل بتر فلان، فلما مات ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال العاص بن وائل: بتر، والأبتر الفرد.

أقول: وفي بعض الآثار أنَّ الشانىء هو الوليد بن المغيرة، وفي بعضها أبو جهل وفي بعضها عقبة بن أبي معيط، وفي بعضها كعب بن الأشرف، والمعتمد ما تقدم. ويؤيده ما في الاحتجاج الطبرسي، عن الحسن بن علي عليهما السلام: في حديث يخاطب فيه عمرو بن العاص: وأنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعثمان بن الحارث والنضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل، كلهم يزعم أنك ابنه فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا وأعظمهم بغية. ثم قمت خطيبًا وقلت: أنا شانىء محمد وقال العاص بن وائل: إنَّ محمدًا رجلٌ أبتر، لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك و تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾. الحديث.

وفي تفسير القمي،: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَكَ الكَوْثَر﴾ قال: الكوثر نهرٌ في الجنة، أعطى اللهُ محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عوضًا عن ابنه إبراهيم.

أقول: الخبر على إرساله وإضماره معارض لسائر الروايات وتفسير الكوثر بنهر في الجنة لا ينافي التفسير بالخير الكثير كما تقدم في خبر ابن جبير.

١٠

الدرس العاشر

تطبيق على التفسير الموضوعي

الدرس العاشر

تطبيق على التفسير الموضوعي

عمل بحثي

راجع الملحق من كتابي «نفحات القُرآن» للشيخ ناصر مكارم الشيرازي و«مفاهيم القُرآن» للشيخ جعفر السبحاني المأخوذة من الجزء الذي يتحدث عن التوحيد في كُلٍّ من الكتابين.

اعمل مع زميل لك في تلخيص علاقة توحيد الله تعالى بفطرة الإنسان.

استعن بهذه العناوين:

١. البحث عن الله تعالى فطريّ.
٢. تظهر الفطرة وقت الشدة.
٣. فطريّة الاعتقاد بوجود الله تعالى.
٤. عهد عالم الذر.
٥. نفحات القُرآن
٦. للشيخ ناصر مكارم الشيرازي
٧. الطريق الباطني لمعرفة الله

تمهيد

(الإدراكات العقلية) - كما نعلم - تشكِّلُ جزءً من المضمون الروحيِّ لدى الإنسان، أي أنَّ الإنسانَ لا يصِلُ إلى كلّ شيء عن طريق الدليل العقلي، بل إنّ المتطلّبات والمكتسبات الفطريّة الغريزية تشكِّلُ جزءً مهمّاً من المحتوى الروحي فيه، حتّى أنَّ الأساسَ في الكثير من الأدلّة العقلية قائم على هذه المكتسبات الفطريّة، في حين تنشأ المتطلّبات والمكتسبات في الحيوانات عن طريق الغريزة فقط.

وعليه فانّ الذين قاموا بتحديد الإنسان بالبعد العقلي لم يعرفوا تمام الأبعاد الوجوديَّةِ للإنسان في الحقيقة.

ومن المتّفق عليه أنّ طريق الباطن طريق مهمّ في مسألة (معرفة الله) التي لها طرق لا تحصى، والإنسان هنا يسلك أقصر الطرق، فبدلاً من (المعرفة) يصل إلى (الوجدان)، ومن (التفكير) إلى

(الرؤية)، وبدلاً من إعداد (المقدّمات) يصل إلى ذيّها.

إنَّه طريق عظيم ، مثير ومريح.

وقد اعتمدت آيات قرآنية عديدة على هذا المعنى وجاءت بتعابير جميلة .

بعد هذا التمهيد نصغي خاشعين إلى الآيات الآتية (حول معرفة الله) – وسيتم الإشارة إإلى ما تحمل من مضامين وذلك في الدروس القادمة–:

١. **﴿فَأقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكنَّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾** (١٣).

٢. **﴿وَإذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهمُ مُنْيبينَ إلَيه ثُمَّ إذا أذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذا فَريقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾** (١٤)

٣. **﴿فَإذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخلصِيْنَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشرِكُونَ﴾** (١٥)

٤. **﴿هُوَ الّذي يُسَيّرُكُمْ فِي البَرّ والبَحْرِ حَتّى إذا كُنْتُم فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوا اللهَ مُخلصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أنجيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ × فَلمّا أنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقّ﴾** (١٦)

٥. **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العَليمُ﴾** (١٧)

٦. **﴿وَلَئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيقولُنَّ اللهُ فَأَنّى يُؤفَكُونَ﴾** (١٨)

٧. **﴿وَلَئِنْ سأَلْتَهمُ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ لَيقولُنَّ اللهُ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ﴾** (١٩)

---

(١٣) الروم: ٣٠.

(١٤) الروم: ٣٣.

(١٥) العنكبوت: ٦٥ .

(١٦) يونس: ٢٢ و٢٣.

(١٧) الزخرف: ٩ .

(١٨) الزخرف: ٨٧ .

(١٩) العنكبوت:٦١.

٨. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلُكُ السَّمعَ والأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[٢٠]

٩. ﴿قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنْتُم تَعلَمُونَ ❖ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ❖ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمواتِ السَّبْعِ وَرَبّ العَرْشِ العَظِيمِ ❖ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ❖ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إن كُنْتُم تَعْلَمُونَ × سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ﴾[٢١]

١٠. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَومَ القِيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾ [٢٢]

---

(٢٠) يونس: ٣١ .

(٢١) المؤمنون: ٨٤ـ ٨٩ .

(٢٢) الأعراف: ١٧٢ .

١١

الدرس الحادي عشر

بحث في كلمة : فطرة

الدرس الحادي عشر

بحث في كلمة: فطرة

الآية الأولى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾ [٢٣]

شرح المفردات

(فطرة) من (فَطْر) وتعني. كما أسلفنا. الشقّ طولاً، ثمّ أُطلِقَ على كُلِّ شيءٍ، والشقّ ربّما يكون للهدم، وربّما للإصلاح ولذا يستعمل للمعنيين.

وبما أنّ (الخلق) بمثابة شقّ ستار العدم المظلم، يكون أحد المعاني المهمّة لهذه المفردة هو الإيجاد والخلق، ولنفس السبب يعطي معنى الإبداع والإختراع أيضًا.

كما يطلق لفظ (الأفطار) على هدم الصيام لهذا الأمر حيث ينشقّ الصيام (وهو فعل متصل ومستمرّ) بالأكل ونظائره.

كما يستعمل هذا اللفظ في نمو النباتات أيضاً وذلك لانشقاق الأرض وخروج النباتات منها، كما يطلق على عملية استخراج اللبن من الضرع باصبعين، فكأنّه ينشقّ ويخرج منه اللبن.

نقل عن ابن عبّاس قوله: لم أعرف معنى (فاطر السموات والأرض) جيّداً حتّى جاء إليّ رجلان عربيان يتنازعان على بئر، فقال أحدهما لإثبات ملكيته:

أنا فطرتها بمعنى (أنا حفرتها)، هنا أدركت أنّ (فطرة) تعني الإيجاد والإبتداء في الشيء.

ويطلق على الحبوب التي تظهر في وجوه البنين والبنات اسم (تقاطير) أو (نفاطير)[٢٤].

واعتبار بعض اللغويين مفردة (فطرة) بمعنى الدين والشرع إنّما هو لوجودها في خلقة الإنسان كما سيأتي.

---

(٢٣) الروم: ٣٠.

(٢٤) لسان العرب، مفردات الراغب، نهاية ابن الأثير، ومجمع البحرين

جمع الآيات وتفسيرها

الخلق الثابت والراسخ

الآيـة الأُولى التـي تُصرِّح بـأنّ (الدين) أمرٌ فطـريّ وتخاطب النبـي ﷺ: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً**﴾[٢٥].

ومـن أجـل التعليل أو التشجيـع على هذا الأمر تقول الآية بعـد ذلك: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الّتـي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾[٢٦].

وبمـا أنّ مـن المسلَّمات وجود الإنسجام بين (التشريع) و (التكويـن) حيث لا يمكن وجود أمر متأصِّلٍ في خلـق الإنسـان غير منسجم مع سلوكه، يمكن أن يكون هذا التعبـير دليلاً على وجوب العمل بأصل التوحيد، ونفي كلّ شرك .

العلاقات الدينية من أشدّ العلاقات الإنسانية تجذّراً:

وللمزيد من التأكيد تقول الآية بعد ذلك : ﴿**لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾[٢٧].

وهذا يعني انّ ما يتجذّر في أعماق الوجود الإنساني يستمرّ كأصل ثابت وراسخ. وكما سيتوضّح لنا في الإيضاحات. فإنَّ هذه الجملة لها معنى غزير وإعجازي، حيث تشير الدراسات الحديثة التي يجريها المفكّرون إلى انّ العلاقات الدينية في التاريخ هي من أشدّ العلاقات الإنسانية تجذّراً وستبقى راسخة .

بيد أنّ فئة جاهلة وغافلة تقوم بإفساد هذه الفطرة الطاهرة بالشرك، ولذا يؤكّد القُرآن على المحافظة عليها بذكر كلمة (حنيفاً).

---

(٢٥) (حنيـف) مـن (حنـف) ويعني كلّ ميل أو إنحراف وجاء بمعنـى الميل من الضلال إلى الصدق ، ومـن الباطل إلى الحقّ والتعبير بـ (وجه) هنا كناية عن الذات ، لأنّ الوجه أهمّ عضو في الجسم وتقع فيه الحواس الهامّه كحاسّة البصر والسمع والذوق والشمّ .

(٢٦) توجد أقوال كثيرة حول تعليل النصب في (فطرة الله) ومنها انّها بتقدير (اتّبع) و (الزم)

(٢٧) يقـول بعض المفسّريـن بأنّ (لا) في (لا تبديل لخلق الله) نافية وتعطي معنى النهـي (مجمع البيان والميزان وتفسير أبي الفتوح الرازي) ولكن كما قلنا فانّ النفي أنسب وأجمل (فتأمّل جيّداً)

وللمزيد من التأكيد تضيف الآية: ﴿**ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾.

كلمة (قيّم) من (قيام) وإستقامة بمعنى الثابت والراسخ والمستقيم كما جاءت بمعنى القائم بشؤون المعاد والمعاش في الإنسان[٢٨].

وبما أنّ الكثير من الناس يغفلون عن هذه الحقيقة، ويبتلون بأنواع من عبادة الأصنام، تقول الآية في ذيلها ﴿**وَلكنَّ أكْثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ**﴾

الجدير بالذكر أنّ الفطرة التي جاءت في الآية لا تشمل التوحيد فقط، بل تشمل الدين بجميع أُصوله وفروعه، وسنتطرّق إليها في التوضيحات إن شاء الله تعالى.

(٢٨) مفردات الراغب وكتب لغوية اُخرى.

١٢

الدرس الثاني عشر

بحث في موضوع: الإنسان عند مواجهة الأزمات

الدرس الثاني عشر

بحث في موضوع: الإنسان عند مواجهة الأزمات

في الآيات الثانية والثالثة والرابعة وهي كالتالي:

٢. ﴿وَإذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنْيبينَ إلَيه ثُمَّ إذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذا فَريقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾(٢٩)

٣. ﴿فَإذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخلِصيْنَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشرِكُونَ﴾(٣٠)

٤. ﴿هُوَ الّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ حَتّى إذا كُنْتُم فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوا اللهَ مُخلِصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أنجيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ ❖ فَلَمّا أَنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾(٣١)

الكلام في الآيات الثلاث:

خلاصة البحث:

هذه الآيات التي يدور البحث حولها (وبتعابير مختلفة) إشارة إلى قضيّة عامّة وهي أنّ الإنسان حينما يواجه الصعاب والبلاء الشديد ويعجز عن إستخدام الوسائل الطبيعية يلجأ إلى فطرته الأصيلة، فيشرق في أعماق قلبه نور المعرفة الإلهية بعد إختفائه، ويتذكّر مبدأ العلم والقدرة الذي لا نظير له والذي يسهل عليه حلّ المشكلات كلّها . تقول الآية في موضع : **﴿وإذا مَسَّ الناسَ ضُرٌّ دَعوا ربَّهم مُنيبين إلَيه﴾**.

ولكن بعد سكون الأعاصير وهبوب رياح الرحمة، فانّ مجموعة منهم يشركون **﴿ثُمَّ إذا اذاقَهُم مِنه رَحمةً اذا فَريقٌ مِنهُم بِربِّهم يُشرِكون﴾**.

---

(٢٩) الروم: ٣٣.

(٣٠) العنكبوت: ٦٥ .

(٣١) يونس: ٢٢ –٢٣.

وفي موضع آخر يذكر هذا المعنى مقروناً بذكر مصداق واضح عن الصعاب والمشكلات حيث تقول الآية: (فَإذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ) « وأحاطت بهم الأمواج العظيمة والأعاصير المخيفة وامتلأت قلوبهم رعبًا وهلعًا» **﴿دَعوا الله مُخلِصين لَه الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُم إلى البرِّ إذا هُم يُشركون﴾**.

ذكر الله عند حلول المصائب:

وقد أشارت آية اُخرى إلى أخطار البحر هذه ، بصورة جميلة اُخرى حيث تقول بأنّ الله هو الذي يُسيّركم في الصحاري والبحار وعندما تركبون السفينة وتحرّككم الرياح الطيّبة الهادئة إلى أهدافكم، والجميع يغمرهم الفرح والسرور، وفجأة تهبّ الأعاصير ويهيج البحر وتأتي الأمواج من كلّ جهة نحو الراكبين في السفينة حتّى يروا الموت بأعينهم وينتابهم اليأس من الحياة يتذكّرون الله فيدعونه مخلصين ويعاهدونه على أن يكونوا شاكرين له إذا نجّاهم من الهلاك (شكراً مصحوباً بالمعرفة).

(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءها ريح عاصف وجاءهم الموج من كلّ مكان وظنّوا انّهم اُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين).

نسيان الله بعد النجاة:

ولكن هؤلاء عندما ينجّيهم الله من الأخطار الموحشة ويوصلهم إلى ساحل الأمان ينسون عهدهم مع الله فيشرعون مرّة اُخرى بالظلم بدون حقّ فيسلكون طريق الشرك؛ وهو من أعظم الظلم، ويظلمون الذين تحت أيديهم، مغرورين بالنعمة التي هم فيها: **﴿فَلمّا أنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقّ﴾**.

كما يلاحظ هذا المعنى في أيتين اُخريين ، ففي موضع تقول الآية :

﴿فَإذا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ نِعْمةً مِنّا قَالَ إنَّما اُوتيتُهُ عَلى عِلْم﴾[٣٢]

وفي موضع آخر تقول الآية: **﴿وَإذا مَسَّ الإنْسانَ الضُرُّ دَعَانَا لَجَنبِهِ أو قاعِداً أو قائماً فَلمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾** [٣٣]

(٣٢) الزمر: ٤٩

(٣٣) يونس: ١٢.

١٣

الدرس الثالث عشر

بحث في خصوصيّة بعض الآيات

الدرس الثالث عشر

بحث في خصوصيّة بعض الآيات

هذه الآيات التالية مع انّها تقصد حقيقة واحدة وهي: لجأ الناس إلى الله عند تعرضهم إلى المشكلات والمصائب، بيد أنّ كلّ آية تتمتّع بخصوصية ولطافة ولحن خاصّ:

الآية الأولى: ﴿وَإذا مَسَّ النّاسَ ضرٌّ دَعَوْا رَبَّهمُ مُنْيبينَ إليه ثُمَّ إذا أذاقَهُمْ منْهُ رَحْمَةً إذا فَريقٌ منْهُمْ برَبِّهمْ يُشْركُونَ﴾[٣٤]

الآيـة الثانيـة: ﴿فَـإذا رَكِبُـوا في الفُلْـكِ دَعَـوا اللهَ مُخلِصـينَ لَهُ الدّيـنَ فَلَمّـا نَجّاهُمْ إلى الـبرِّ إذا هُمْ يُشركُونَ﴾[٣٥]

الآية الثالثة والرابعة: ﴿هُوَ الّذي يُسَيّركُمْ في البَرّ والبَحْر حَتّى إذا كُنْتُم في الفُلْك وَجَريْنَ بِهِمْ بريح طَيِّبَة وَفرِحُوا بها جاءَتْها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمْ المَوْجُ منْ كُلِّ مَكان وَظَنُّوا أنَّهُمْ أُحيْطَ بِهِمْ دَعَوا اللهَ مُخلصِـينَ لَهُ الدِّينَ لَئنْ أنجيْتَنا مِنْ هذه لَنكونَنَّ مِنَ الشّـاكِرينَ ❖فَلمّا أنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ في الأَرْضِ بغَيرِ الحَقّ﴾[٣٦]

الآية الخامسة: ﴿فَإذا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ نِعْمةً مِنّا قَالَ إنّما أُوتيتُه على علْم﴾[٣٧]

وفي موضع آخر تقول الآية: ﴿وَإذا مَسَّ الإنْسانَ الضُرُّ دَعَانَا لَجَنبِهِ أو قاعِداً أو قائماً فَلمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾[٣٨]

ففـي آية ذكر لأنواع الأضرار والمشكلات والأذى وهذه تشمل أنواع الأمراض والبلاء والقحط والآفات والمشكلات.

---

(٣٤) الروم: ٣٣ .

(٣٥) العنكبوت: ٦٥ .

(٣٦) يونس: ٢٢ و٢٣.

(٣٧) الزمر: ٤٩.

(٣٨) يونس: ١٢.

وفي آيـة اُخرى إشارة إلى أخطار البحر فقط (من قبيل الأعاصير والأمواج ودوران المياه والحيوانات الخطرة فيه، والضلال عن الطريق وأمثالها) .

وفي آية اُخرى تركيز على أخطار الأعاصير والأمواج.
وفي آية اُخرى حديث عن سير الإنسان في طريق الشرك بعد ذلك.
وفي آية اُخرى ذكر لطريق البغي والظلم الذي له مفهوم أوسع من الشرك.

وفي آيـة اُخرى إشارة إلى انّهـم يعتبرون المشكلات ناشئة من الله امّا النعم فانّها منهم، ونقرأ في آية انّهـم يشركون بأجمعهم، وتذكر آية اُخرى فئة منهم؛ وذلـك لاختلاف المجتمعات البشرية، فبعضها من الفئة الاُولى وبعضها من الفئة الثانية.

وتقـول آية أُخرى انّهم يعاهدون الله عند البلاء عهداً ينسونـه عند استقرار الأوضاع، وفي آية اُخرى يكون الحديث عن الدعاء والطلب من الله تعالى.
وتقول آية اُخرى: أنّهم إذا أصابهم شيء من الضرر (التعبير بـ « مسّ » فيه إشارة إلى هذا المعنى)،

ولكن في آية اُخرى أنّهم عندما ينتابهم اليأس من الحياة يقبلون على الله، ولعلّ هذا الإختلاف إشارة إلى مختلف أفراد البشر حيث يكون البعض من القسم الأوّل والبعض الآخر من القسم الثاني.

وقد ذكرت كلمة (الإخلاص) في الكثير من الآيات، حيث تشير إلى رفض كلّ معبود سوى الله الواحد وتـدلّ علـى أنّهم حين الدعـة والراحة يعبـدون الله أيضاً، ولكنّهـم يعبدون معه أنـداداً له وهي التي ينسونهـا وتختفـي عند ظهور الأمـور العاتية أو الأعاصـير الموحشة، ويغمر نور التوحيـد والوحدانية قلوبهم ويضيء وجودهم.

وجـاء في تفسير (روح البيـان) أنّ عبدة الأوثان في الرحلات البحرية (التـي كانت مفعمة بالأخطار دائمـاً، وكانت أشدّ في العصور القديمة لعدم تيسّـر الأدوات اللازمة) كانوا يحملون الأصنام معهم،

وعند حدوث الأعاصير العاتية يلقون بها في البحر ويصرخون ياربّ ياربّ!![٣٩].

والأعجب أنّهم كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميع الأدلّة المنطقية، الناصعة، لكنّهم لم يؤمنوا، في حين كانوا يقبلون على الله بكلّ وجودهم عندما تهاجمهم الأحداث العاصفة، وهذا ممّا يشير إلى أنّ طريق الفطرة أوضح وأيسر للكثير من الناس من الطرق الأُخرى.

وجدير ذكره انّ القُرآن الكريم يحذِّر الذين يستجيبون لنداء الفطرة عند المشكلات وينسونه عند ارتفاعها، ويلفت أنظارهم ببيان جميل بقوله: **﴿أَفأَمِنْتُم أَنْ يَخسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرِّ أو يُرسَلَ عَلَيكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لكُمْ وَكيلا﴾** [٤٠]

هل هناك إلهان؛ أحدهما للبحر والآخر للبرّ؟! أم أنّ الله مقتدر في البحر ولا قدرة له في البرّ ؟! إنّه قادر بأمر واحد للأرض أن تفتح فاها بزلزالها؛ لتبلع مُدُنكم ولا يبقى من خرائبها شيئاً[٤١].

وقد حدث مراراً أن تهُبَّ الأعاصير وتحمل الحصى والرمال إلى السماء، وتلقيها في نقاط اُخرى، وقد تطمر تحتها قافلة بأكملها.

الله الذي يأمر الأمواج في البحار - إذن - قادر على أن يتّخذ من الأعاصير والزلازل في الصحاري جنوداً يهلك بهم الفاسدين.

ويتبع هذه الآية جواب آخر حيث يقول:

﴿أَمْ أمِنْتُمْ أَنْ يُعيْدَكُمْ فِيه تَارَةً أُخْرى فَيُرسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَينا بِهِ تَبيعاً﴾ [٤٢]

أي أنّكم تظنّون أنّ هذه هي رحلتكم البحرية الأخيرية ؟ إنّه خطأ كبير .

---

(٣٩) روح البيان : ٤٩٣/٦

(٤٠) الإسراء: ٦٨.

(٤١) قبل عدّة سنوات وقع زلزال في شمال افريقيا وفيه ابتلعت الأرض قرية كاملة ولم يعثروا حتّى على خرائبها.

(٤٢) الإسراء: ٦٩.

١٤

الدرس الرابع عشر

إقرار المشركين واستجابتهم للفطرة

الدرس الرابع عشر

إقرار المشركين واستجابتهم للفطرة

وتتضمّن الآية الخامسة حتّى التاسعة من آيات البحث حديثاً عن هذا المضمون:

٥. ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العَليمُ﴾ [٤٣]

٦. ﴿وَلَئن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [٤٤]

٧. ﴿وَلَئنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمرَ لَيقُولُنَّ اللهُ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٤٥]

٨. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأرْضِ أَمَّن يَمْلكُ السَّمعَ والأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فقُلْ أفَلا تَتَّقُونَ﴾ [٤٦]

٩. ﴿قُلْ لِمَنْ الأَرضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنْتُم تعلَمُونَ ❖ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أفَلا تَذَكَّرُونَ ❖ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّموات السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظيم ❖ سَيَقُولُونَ لله قُلْ أفَلا تَتَّقُونَ ❖ قُلْ مَنْ بِيَدِه مَلكُوتُ كُلِّ شَيء وَهُوَ يُجيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْه إن كُنْتُم تَعْلَمُونَ ❖ سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ﴾ [٤٧]

ولو أنّهم ـ أي عبدة الأوثان ـ سُئِلوا عن خلق كُلِّ فرد من المخلوقات، وتدبير أمورها؛ فانّهم يقرّون بأنّ الله وحده هو الخالق والمدبِّر!!

إنّ هذه الآيات القُرآنية وأمثالها[٤٨] من التعابير الحيّة عن التوحيد الفطريّ، ومن الممكن أن تكون هذه الإجابة المتناسقة نتيجة للاستدلال العقلي أيضاً؛ وذلك عن طريق برهان النظم، ولكن بملاحظة أنَّ المشركين العرب أُناسٌ أُمّيون وبعيدون عن العلم والفكر والاستدلال، فإنّ هذا التناسق في الإجابة

(٤٣) الزخرف: ٩ .

(٤٤) الزخرف: ٨٧ .

(٤٥) العنكبوت:٦١ .

(٤٦) يونس: ٣١ .

(٤٧) المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩ .

(٤٨) الآية ٦٣ من سورة العنكبوت ، والآية ٢٥ سورة لقمان ، والآية ٣٨ سورة الزمر

يدلُّ على أَنّها كانت تنبع من فطرتهم وهم في ذلك سواء وبدون استثناء، وإلاّ فإنّ الاستدلالات العقلية مهما كانت واضحة فإنّها لا يمكن أن تكون شاملة وعامّة إلى هذه الدرجة، وخاصّة بين جماعة بعيدة عن العلم والفكر.

من هنا فإنّا نعتقد أنّ الآيات الخمس أو أمثالها تشكِّل أدلّة على التوحيد الفطريّ.

ولذا يقول صاحب تفسير (روح البيان) في ذيل الآية ٩ من سورة الزخرف: «وفي الآية إشارة إلى أنَّ في جِبِلَّةِ الإنسان معرفة لله مركوزة »[٤٩]

وفي تفسير (الفخر الرازي) في ذيل الآية ٨٧ من سورة الزخرف عرض لهذا المضمون على صورة سؤال وجواب فيقول: « ظنّ قوم أنّ هذه الآية وأمثالها في القُرآن تدلّ على أنّ القوم مضطرون إلى الاعتراف بوجود الإله للعالم، وقوم إبراهيم قالوا: (وانّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه) فيقال لهم: لا نُسلِّم أنَّ قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الإله، والدليل على قولنا، قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً**﴾[٥٠] وقال موسى لفرعون: ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ ....**﴾[٥١] فالقراءة بفتح التاء في علمت تدلّ على أنَّ فرعون كان عارفاً بالله، وأمّا قوم إبراهيم حيث قالوا: ﴿**وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه**﴾ فهو مصروف إلى إثبات القيامة وإثبات التكاليف وإثبات النبوّة)[٥٢]

وفي التعبير بـ (لقد علمت ....) إشارة واضحة إلى هذا المعنى.

والطريف أنَّ آيتين من هذه الآيات تذكران في النهاية بعد أخذ الإقرار من الكفّار والمشركين بأنَّ الله هو الخالق للإنسان والأرض والسماوات ﴿**فأنّى تؤفَكون**﴾[٥٣]

وبناء الجملة للمجهول إشارةٌ إلى أنَّ ذواتهم تسير في طريق الفطرة، غير أنَّ أسباباً خارجية وهي

(٤٩) روح البيان : ج٨ ، ص٣٥٣ ، وفي ذيل الآية ٨٧ من سورة الزخرف أيضاً إشارة إلى هذا المعنى أيضاً

(٥٠) النمل: ١٤

(٥١) الإسراء:١٠٢

(٥٢) التفسير الكبير : ج٨ ، ص٣٩٩ وج٢٧ ، ص٢٣٣ .

(٥٣) تؤفكون مشتق من (الإفك) ويعني الإرجاع والحرف ولذا يطلق (الإفك) على الكذب أيضاً كما تطلق (المؤتفكات) على الرياح المعارضة

(شياطـين الجِنِّ والإنسـ) ، وأسباباً داخلية وهي (أهواء النفسـ والعصبية الجاهلية) تحرّفهم عن الحقّ رغم تجذّره في أعماق فطرتهم .

في حـين جـاء التعبير في موضع آخر بـ ﴿**فأنّى تُسحَرُون**﴾ بصيغة المبني للمجهول، وهي عبارة تطلق على من يتّبع أمراً دون إرادة.

ويوجد احتمال آخر في تفسير هذه الآيات وهو أنَّهم كانوا يقولون بأنَّ رسول الإسلام ٢ يريد أنْ يحرفنا عن طريق الحقّ أو أنّه ساحر قد سحرنا. فردَّ عليهم القُرآن: مع أنّكم تُقرّون بأنَّ الله هو خالق السماء والأرض والشمس والقمر والبشر، وهو المدبِّرُ لهذا الكون فكيف يحرفكم أو يسحركم من يدعوكم إلى عبادته ونبذ عبادة غيره ؟ أيُّ عقلٍ يحكم بهذا ؟!

إنّ الكثـير من المُفَسِّرين ومنهم (الطبرسي في مجمع البيان والعلاّمة الطباطبائي في الميزان والفخر الرازي في التفسير الكبير والآلوسي في روح المعاني والقرطبي في تفسيره) اختاروا التفسير الأوّل، وإن لم يبعد التفسير الثاني عن مفهوم الآية .

١٥

الدرس الخامس عشر

عهد عالم الذرّ

الدرس الخامس عشر

عهد عالم الذرّ

أضواء على الآية العاشرة في هذا البحث: وهي:

١٠. ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ❖ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (٥٤)

الآيـة العاشـرة والأخيرة في هذا البحث تذكر تعبيراً آخر بصياغـة جديدة حول التوحيد الفطريّ ولا نظـير لهـا في الآيـات القُرآنية الأُخرى، وبسبب المحتـوى المعقّد لهذه الآيـة دارت أحاديث مطوّلة بين العلمـاء والمُفَسِّريـن والمتكلّمين وأرباب الحديث، وقـد أوردت ـ بصورة إجماليـة ـ آراءهم المختلفة ثمّ الـرأي المختار للمؤلف الشيخ ناصـر مكارم الشيرازي في كتابه نفحات القُـرآن ـ وهنا سيقتصر على تفسيرها .

تقول الآية الكريمة: ﴿**وإذْ أَخَذَ ربُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيتُهم وَأشْهَدهُم عَلى أنفُسِهِمْ ألسْتُ بِربِّكُمْ قالوا بَلى شَهدنا ...**﴾ أي قالوا جميعًا: بلى شهدنا

وتُضيـفُ الآيـة بأنَّ اللّه تعالى فعل ذلك لِئلاّ يقولوا يوم القيامة إنّا غفلنا عن هذا الأمر (وهو التوحيد ومعرفة اللّه): ﴿**أنَ تَقُولوا يَومَ القيامةِ إنّا كنّا عن هذا غافِلين**﴾

أو يتشبّثوا بحجّة (التقليد) بدلاً عن حجّة (الغفلة): ﴿**أو تقولوا إنّما أشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبلُ وكنّا ذُرّيةً منْ بَعْدِهمْ أفتُهلِكُنا بِما فَعَل المُبطلُون**﴾

هذه الآيات تكشف عن حقائق بصورة إجمالية، منها:

١. أنّ اللّه تعالى أظهر جميع ذرّيَّة آدم إلى يوم القيامة في مرحلة من الخلق.

---

(٥٤) الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

٢. أنّ الله سبحانه أشهدهم على أنفسهم، وأخذ الإقرار منهم بربوبيته .

٣. استهدف أخذ الإقرار والاعتراف والشهادة أمرين:

أوّلا : عدم السماح للمشركين لإدّعاء الغفلة والجهل عن حقيقة التوحيد ووحدانية الله يوم القيامة.

وثانياً: منعهم من اتّخاذ التقليد لآبائهم ذريعة لارتكاب المعاصي.

أسئلة مطروحة في المقام:

وهنـاك أسألةّ تُطرح من قبيل: متى وقع هذا (الظهـور)؟ وبأيّة صورة تمَّ ذلك؟ وما المراد من (عالم الذرّ)؟ وكيف تحقّق هذا الأمر؟

ويمكـن أن تعتبر هذه المواضيع كأسماء لبحوث يتم البحث والإجابة عنها من كتب التفسير والعقائد، والكلام، وأرباب الحديث.

وقد تعرَّض إليها الشيخ ناصر مكارم شيرازي في كتابه نفحات القُرآن بذكر آراءٍ للمفسرين والمتكلمين وأرباب الحديث، فيراجع.

١٦

الدرس السادس عشر

وجود الله

الدرس السادس عشر

وجود اللّٰه

مفاهيم القُرآن ج١

هل وجود اللّٰه بديهي؟

لقد اعتبر بعض العرفاء «وجود اللّٰه» في العالم أمراً بديهياً، وادّعوا بأنّ استنباط هذه الحقيقة من آيات القُرآن والوقوف عليها استنباط واضح ولا يحتاج إلى الاستدلال عليه والتفكير مطلقاً.

وكأنّ «توماس كارليل» الفيلسوف الانجليزي قد انتزع مقالته التالية من هذا التصور والاعتقاد إذ قال:

إنّ الذين يريدون إثبات وجود اللّٰه بالبرهان والدليل ما هم إلاّ كالذي يريد الاستدلال على وجود الشمس الساطعة الوهّاجة بالفانوس.(٥٥)

الآيات القُرآنية في مسألة الوجود

ولدى مراجعة الآيات القُرآنية والأدعية الواردة عن أهل بيت النبي ـ عليهم السَّلام ـ يمكن الوقوف على إشارات جلية إلى هذا المطلب، ونعني بداهة «وجود اللّٰه».(٥٦)

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَفِي اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾** (٥٧).

فما يمكن أن يكون إشارة إلى قضية «بداهة وجود اللّٰه» في هذه الآية هو قوله: **﴿أَفِي اللّٰهِ شَكٌّ﴾** في حين أنّ المقطع التالي من الآية أعني قوله: **﴿فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾** يعتبر دليلاً مستقلاً على وجود اللّٰه كما سيأتي توضيحه وبيانه فيما بعد.

وكما يمكن أن تكون الآية المذكورة إشارة إلى «بداهة وجود اللّٰه» كذلك يستفاد ذلك من الآية التالية

---

(٥٥) الشن راز: ٥١

(٥٦) ليس المراد من البداهة أن لا يختلف فيه اثنان أو لا يحتاج إلى تذكير مذكر بل للبداهة مراتب بعضها يحتاج إلى تذكير مذكر أو إشارة مشير، وربما يحتاج التصديق به إلى تخلية النفس من الرواسب والآراء السابقة، ولأجل ذلك لا مانع من أن يكون وجود اللّٰه معنى بديهياً وإن اختلف فيه الناس والفلاسفة.

(٥٧) إبراهيم: ٩

التي تصف اللّه بالظهور إذ تقول: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ [٥٨].

الإمام الحسين وإثبات وجود اللّه:

كما ويمكن استفادة إشارات واضحة إلى هذا الأمر من دعاء الإمام أبي عبد اللّه الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السَّلام ومناجاته يوم عرفة مع ربه إذ يقول:

«كيف يُستدلُّ عليكَ بما هو في وجودِهِ مُفتَقِرٌ إليك؟! أيكونُ لغيرِكَ من الظهورِ ما ليس لك حتى يكونَ هو المظهر لك؟! متى غِبتَ حتى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك؟! ومتى بعُدتَ حتى تكونَ الآثارُ هي التي توصِلُ إليك؟!

عميَت عينٌ لا تراكَ عليها رقيباً».

ويقول عليه السلام في ختام دعائه:

«يا من تجلّى بكمالِ بهائِه، كيف تخفى وأنت الظاهر؟!

أم كيف تغيبُ وأنتَ الرقيبُ الحاضر؟»[٥٩].

ولكن لابُدَّ أن نعلم أنّه لا تنافي بين «بداهة وجود اللّه» و« فطريّة الإيمان به». فلا مانع من أن يكون وجودُ اللّهِ بديهيّاً، ويكون الإيمانُ بوجوده فطريّاً أيضاً.

وفي الحقيقة فإنّ بداهة وجود اللّه ما هي إلاّ نتيجة فطريّته؛ لأنَّ أحد أقسام البديهي هو: «الفطريّات» كما هو واضح لمن يراجع هذا البحث في محله[٦٠].

ولأجل ذلك لا مانع من أن تكون مسألة وجود اللّه بديهية وفطريّة في آن واحد، وما ذلك إلاّ لأنّ الإيمان بوجوده تعالى قد امتزج بوجدانِنا وبفطرتنا، ولذلك يبدو وجوده لنا في صورة الأمر البديهي.

---

(٥٨) الحديد: ٣

(٥٩) راجع كتاب الأدعية في دعائه - عليه السَّلام - يوم عرفة.

(٦٠) بحث «مواد الأقيسة» وهذا البحث من المباحث الهامة جداً في علم المنطق، ولكنّ المتأخرين لم يهتموا به كما ينبغي مع الأسف، وقد انفرد العلاّمة الحلي فقط في كتابه «الجواهر النضيدة» بهذا المبحث.

١٧

الدرس السابع عشر

الإنسان يبحث عن الله فطريّاً

الدرس السابع عشر

الإنسان يبحث عن اللّٰه فطريّاً

فطريّة الإيمان باللّٰه:

يذهب أكثر المُفَسِّرين إلى أنّ فطريّة الإيمان باللّٰه أمر يمكن استفادته من الآيات القُرآنية[٦١] وإذا بهم يجعلون الإيمان باللّٰه كسائر الغرائز المتأصلة في البشر ويقولون: كما أنّ الإنسان يحبُّ الخير فطريّاً، أو يكره الشر فطريّاً كذلك يبحث عن اللّٰه فطريّاً وذاتيّاً، ويريد معرفة ما وراء الطبيعة فطريّاً أيضاً، وما كُلُّ ذلك إلاّ لأنَّ البحث عن اللّٰه والتفتيش عن الخالق أمر جُبِلَ عليه الإنسان، وفُطِر عليه تكوينه، وعُجِنَت به سريرتُه، فإذا به يميل إلى الإذعان باللّٰه ذاتيّاً، بينما يكره الإلحاد ونكران اللّٰه ذاتيّاً كذلك.

تجلّي الفطرة عند الشدائد

من المعلوم أنّ فطريّة الإيمان باللّٰه لا تعني بالضرورة أن يكون الإنسان متوجهاً إلى اللّٰه دائماً ملتفتاً إليه متذكراً إيّاه في جميع حالاته وآونة حياته اليومية، إذ رُبَّ عوامل تتسبب في إخفاء هذا الإحساس في خبايا النفس وحناياها وتمنع من تجلّيه، وظهوره على سطح الذهن، وفي مجال الوعي والشعور.

وأمّا عند ما يرتفع ذلك الحجاب المانع عن الفطرة فالإنسان يسمع نداء فطرته بوضوح.

أجل .. هذه حقيقة لا تُنكر .. فعندما يواجه المرء حوادث مخيفة نجده يتوجه إلى اللّٰه، ويستنجد به بحكم فطرته طالباً منه تيسير عمله، وتسهيل أمره.

عندما تقع للإنسان حوادث خطيرة كهجوم الأمواج العاتية على السفينة التي يركبها في عرض البحر، أو حدوث عطل فني في الطائرة التي يمتطيها في الجو، أو انحراف السيارة التي يستقلها، أو يتعرض لهجوم سيلٍ كاسحٍ على قريته أو مدينته.

الشدائد مذكِّرة لنداء الفطرة لا موجدة للإيمان باللّٰه:

أقول: عندما يواجه الإنسانُ أحدَ هذه المخاطر نراه يتوجه من فوره ـ وبصورة تلقائية فطريّة ـ إلى اللّٰه،

---

(٦١) بمعنى أنّ الآيات القرآنية تصرّح بأنّ الإذعان بوجود اللّٰه فطريّ لدى الإنسان.

وتحدث لديه حالة عرفانية قلبية، يطلب فيها من اللّه سبحانه الخلاص والنجاة.

ففي هذه الحالة صار الخوف مذكراً له بنداء الفطرة وكاشفاً عنها لا موجداً للإيمان باللّه.

الخوف وسيلة لكشف الغطاء عن الإيمان:

فلا يصحُّ لنا أن نستنتج من توجُّهِ البشر إلى اللّه في هذه الحالة، وفي هذه اللحظات من حياته بأنّ الإيمان وليد الخوف والرهبة من الطبيعة الغاضبة كما يدَّعي الماركسيّون ومن حذا حذوهم، بل الخوف مجرد وسيلة تكشف الغطاء عن ذلك الإيمان المغروس في أعماق البشر، المودوع في الفطرة بيد الخالق العظيم.

إنّ غريزة حُبِّ الجمال واكتناز الثروة وطلب العلم رغم أنّها أُمور مجبولة مع فطرتنا ومعجونة مع خلقتنا فهي لا تظهر ولا تتفتّح ولا تبرز في كُلِّ الأوقات والظروف، ولا تتجلّى في عالم الذهن في كُلِّ الأزمنة والأحوال ما لم تتهيّأ الظروف المناسبة لها في وجودنا.

وكذلك تكون غريزة التديّن وفطرة الإيمان باللّه.

القُرآن يخبر بلجؤ البعض إلى الله عند الشدة:

وها هو القُرآن الكريم يذكرنا بهذه الحقيقة فيخبرنا كيف أنَّ فريقاً من البشر يذكرون اللّه ويتوجَّهون إليه في مواقع الشدة، والخطر .. أي عندما تواجه سفنهم طغيان الأمواج ـ مثلاً ـ .

ففي هذا الموضع ـ بالذات ـ يتذكّرون اللّهَ وينسون ما سواه من العلل الماديَّة حتى الأصنام التي كانوا يتصورون بأنّها مقربة لهم إلى اللّه، فيدعون اللّهَ ويطلبون منه بكُلِ إخلاصٍ أن ينجيهم ممّا هم فيه:

﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْك وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيح طَيِّبَة وَفَرِحُوا بِها جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَان وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَاكِرِينَ ❖ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...﴾ (٦٢)

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوا اللّهَ مُخْلصينَ له الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣).

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا

(٦٢) يونس:٢٢ـ٢٣

(٦٣) العنكبوت:٦٥

يَجْحَدُ بِ آيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّار كَفُور﴾ [٦٤]

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٦٥]

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ❖ ثمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٦٦]

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ [٦٧]

﴿وَإِذَا مَسَ النَّاسَ ضُرٌّ دَعوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨]

الإيمان مزروع في فطرة الإنسان:

هذه الآيات كُلُّها تفيد أنّ الإيمان باللّه مزروع في فطرة الإنسان، غاية ما في الأمر أنّ الإنسان قد يغفل عن ذلك بعض الأحيان بسبب ما يعتريه من سهو ولهو ولذات منسية سريعة الفوت، ولكنَّه سرعان ما يعود بحكم فطرته إلى اللّه ـ عندما يواجه الشدائد، وتفقد الحياة رتابتها ـ فهنالك لا يرى سوى اللّه منقذاً ومُخلِّصاً، ولا يرى في غيره وليّاً ولا نصيراً.

---

(٦٤) لقمان:٣٢

(٦٥) يونس:١٢

(٦٦) النحل:٥٣ـ٥٤

(٦٧) الإسراء:٦٧

(٦٨) الروم:٣٣

١٨

الدرس الثامن عشر

الاعتقاد بوحدانيَّة الله، وبوجوده

الدرس الثامن عشر

الاعتقاد بوحدانيَّة اللّٰه، وبوجوده

رأي فريق من العلماء:

يعتقد فريق من العلماء أنّ الآيات المذكورة ناظرةً إلى مسألة « فطريّة الاعتقاد بوحدانية اللّٰه » لا إلى مسألة « فطريّة الاعتقاد بوجوده تعالى ».

فقد كتب من هذا الفريق من يقول:

لـو كانت هذه الآيات تتحدث عن فطريّة شيء، فهـي إنّما تتحدث ـ في الحقيقة ـ عن فطريّة «وحدانية اللّٰه» لا عن فطريّة «أصل وجوده».

وذلك لأنّ هذه الآيات موجَّهةً ـ أساساً ـ إلى المشركين الذين كانوا يتخذون مع اللّٰهِ إلهاً أو آلِهةً أُخرى. وبذلـك يُكشـفُ شـأنُ نزولها عـن أنّ الأمر الموصـوف بالفطريّة والمنعـوت بكونه جبليّـاً هنا ليس هو «الاعتقاد بوجود اللّٰه» بل هو «الاعتقاد بوحدانيتَّه» كما لا يخفى.

الجواب:

ويمكن الإجابة على هذا الاعتراض بجوابين:

١. أنّ هذا الكلام ـ لو صحَّ ـ إنّما هو صادق بالنسبة للآياتِ التي تتحدث عن حالة راكبي الفلك[٦٩] حينما تعتريهم الأمواج الطاغية فيتوجهون ـ في غمرة الخوف والانقطاع إلى اللّٰهِ فيما يتوجهون في غير هذه اللحظات إلى معبوداتهم وآلهتهم المزعومة المصطنعة، مشركين، حائدين عن جادة التوحيد .

وأمّا تلكم الآيات التي تصف أُصول التعاليم الدينية بالفطريّة، وتعتبرها أُموراً نابعة من صميم ذاته ومنطبقة مع جبلَّتِه، ومقتضى خِلقَتِه فخارجة عن مجال هذا الكلام والاعتراض.

ففـي هـذه الآيـات الأخيرة لم يعتـبر التوحيد فقط أمـراً فطريّاً جبليّـاً، بل اعتبر العلـم بالمحسنات والمقبحـات والعلـم بالتقى والفجور كما في قولـه تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَـا فُجُورَهَـا وَتَقْوَاهَـا**﴾[٧٠] أو العلم

---

(٦٩) يونس: ٢٣، و العنكبوت: ٦٥، لقمان ٣٢، والإسراء: ٦٧.

(٧٠) الشمس:٨

بالدين كما في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ [٧١]

أقول: اعتبر العلم بهذه الأُمور فطريّاً.

وفي هــذه الصورة لا منافاة بين فطريّة الاعتقاد بأصل وجود اللّه والاعتقاد بوحدانيته فطريّاً، لأنّ كل ذلك يندرج تحت إطار «التعاليم الدينية» على السواء.

٢. وحتــى لو أغمضنا النظر عن هذا الجواب وقصرنا النظر على آيات راكبي الفلك، فإنّ الاعتراض لن يصح في موردها أيضاً.

وذلك لأنّ المشركين رغم اعتقادهم باللّه، فإنَّهم ما كانوا يعبدون ـ في الأوقات الاعتيادية ـ إلاّ أوثانهم خاصة، فلم يكن لديهم في تلك الأحيان أي توجه إلى اللّه أبداً، بينما كان هذا الأمر ينعكس تماماً عند مواجهــة الأخطار والشدائــد فكانوا يتوجهون إلى اللّه وحده، يعبدونه وحــده، ويتضرعون إليه وحده، وأمّا الأصنام فكانت تسلم إلى يد الإهمال والنسيان.

مــن هــذا الأمر يمكن استنبــاط الحقيقة التالية، وهــي أنّه كمــا أنّ وحدانية اللّه أمــرٌ فطريٌّ كذلك الاعتقاد بأصل وجوده فطريّ أيضاً.

لأنّ المشرك ـ كما لاحظنا ـ لم يتوجَّه في الشدائد إلاّ إلى اللّه الذي كان ينسى وجوده وصفته في الحالات الاعتيادية نسياناً مطلقاً وكأنّ اللّه لم يكن.

ولا ريب أنّ هذه الالتفاتة بعد تلك الغفلة الشاملة للذات أيضاً، علامة أنّ الذات والصفة، ونعني ذات اللّه ووحدانيته كلاهما أمران فطريّان.

وبعبــارة أُخرى: إذا كان الاعتقاد بصفة من صفــات اللّه فطرياً فمن الأحرى أن يكون«أصل الاعتقاد بوجــوده» كذلك أمــراً فطريّاً لدى الإنسان، ولذلــك فإنّ الآيات المذكورة حتــى إذا كانت تعني فطريّة التوحيد ـ حسبما ادّعوا ـ فإنّها تعني بالضرورة والأولوية فطريّة الإيمان بوجود اللّه.

---

(٧١) الروم:٣٠